3. نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام.

تمهيد:

بعد الانتقادات اللاذعة التي تعرضت لها نظريات التأثير المباشر لوسائل الإعلام، انتقلت دراسات تأثير وسائل الإعلام على المعارف، على اعتبار أن التغير في المعارف سواء الفردية أو المجتمعية شرط أساسي لتحقيق التغيير في اتجاهات والأنماط الثقافية والسلوك الاجتماعي. صاحب هذا التحول تطورا آخر في دراسة دور ووسائل الإعلام في تشكيل معارف الأفراد أو ما يسمى بـ: "الأثر المعرفي لوسائل الإعلام"، حيث تقوم فكرة الأثر المعرفي لوسائل الإعلام على أساس أن وسائل الإعلام تمارس تأثيرها عن طريق تقديم المعرفة التي من خلالها يشكل الأفراد اتجاهاتهم وسلوكياتهم، ومن أبرز النظريات التي تركز على الدور المعرفي لوسائل الإعلام: "نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام"، والتي تُعتبر من ضمن نظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام[1].

1.3. مفهوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تعد نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام إحدى النظريات التي تهتم برصد ودراسة التأثيرات المختلفة لوسائل الإعلام على الفرد والمجتمع، ولقد ظهرت في النصف الثاني من القرن 20 نماذج كثيرة وجديدة تدرس آثار وسائل الإعلام عرفت بالنظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام، ترى أن وسائل الإعلام عبارة عن نظم اجتماعية ذات طبيعة بنائية تتفاعل مع النظم الأخرى في المجتمع، وتراعي الخصائص النفسية والاجتماعية وأعضاء الجمهور، حيث قدّم كل من "ميلفن ديفلر" و"ساندرا بول روكتيش" عام 1967 أسس نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام[2].

وبالنظر إلى أن الجمهور يعتمد على المعلومات التي تنقلها وسائل الإتصال في المجتمع الحديث لأن هذه الوسائل عملية الوجود لا يمكن الاستغناء عنها، فإن درجة اعتماد الأفراد على المعلومات يشتقونها من وسائل الإتصال تعتبر متغيرا أساسيا لفهم متى ولماذا تغير وسائل الاتصال معتقدات ومشاعر وسلوك الأفراد[3]. ومن الأهداف الرئيسية لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام تفسير لماذا يكون لوسائل الإتصال الجماهيرية أحيانا تأثيرات قوية ومباشرة، وأحيانا أخرى تكون لها تأثيرات غير مباشرة وضعيفة نوعا ما، وتعتمد النظرية على المسائل الرئيسية لكل من الصور المثالية العامة، منها اهتمام البناء الوظيفي بالاستقرار الاجتماعي للمثال التطوري، والتركيز على إنشاء المعاني في المنظور التبادلي للتفاعل الرمزي، وتفسير العوامل الفردية. وتوصف نظرية الاعتماد على نظام وسائل الإعلام بأنها نظرية "بيئية"، فهي تنظر إلى المجتمع باعتباره تركيبا عضويا، وهي تبحث في كيف أن أجزاء من نظم اجتماعية صغيرة وكبيرة

---

[1]. مرفت الطرابيشي وعبد العزيز السيد: **نظريات الاتصال**، دار الإيمان للطباعة، القاهرة، 2006، ص145.

[2]. المرجع نفسه، ص146.

[3]. عبد الرحيم درويش: **مقدمة إلى علم الاتصال**، مطبعة نانسي دمياط، مصر، 2006، ص170.

يرتبط كل منها بالآخر، ثم تحاول تفسير سلوك الأجزاء فيما يتعلق بهذه العلاقات والمفترض أن يكون نظام وسائل الإعلام جزءا هاما من النسيج الاجتماعي للمجتمع الحديث، وقد اعتبر أنها لها علاقات بالأفراد والجماعات والمنظمات والنظم الاجتماعية الأخرى، فقد تكون مثل هذه العلاقات تسلط عليها الصراعات قد تكون متعاونة، ديناميكية أو ساكنة أو منتظمة، كما أنها قد تتراوح بين أن تكون مباشرة وقوية، وبين أن تكون غير مباشرة أو ضعيفة، وكيفما كانت التفاصيل المميزة لهذه العلاقة، فإنها هي العلاقة التي تتحمل عبء التفسير[1].

إن مفهوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام تنطوي على العلاقة الرئيسية التي تتكون من ثلاث متغيرات: وسائل الإعلام، الجمهور والنظام الاجتماعي وتقوم هذه العلاقات أي علاقات الاعتماد على وسائل الإعلام على ركيزتين أساسيتين هما:

- **الأهداف:** لكي يحقق الأفراد والجماعات والمنظمات المختلفة أهدافهم الشخصية والاجتماعية، فإن عليهم أن يعتمدوا على موارد يسيطر عليها أشخاص أو جماعات أو منظمات أخرى والعكس صحيح.

- **المصادر:** يسعى الأفراد والمنظمات إلى المصادر المختلفة التي تحقق أهدافهم، وتعد وسائل الإعلام نظام معلومات يسعى إليها الأفراد والمنظمات من أجل بلوغ أهدافهم خاصة في نشر المعلومات أو القدرة على توزيعها إلى أكبر جمهور ممكن[2].

2.3. افتراضات نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تعتمد فكرة نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام من خلال أن استخدام وسائل الاتصال لا يتم بمعزل من تأثيرات النظام الاجتماعي الذي نعيش بداخله نحن ووسائل الاتصال، والطريقة التي تستخدم بها وسائل الاتصال ونتفاعل بها مع تلك الوسائل تتأثر بما نتعلمه من المجتمع ومن وسائل الاتصال في حد ذاتها. كما أننا نتأثر كذلك بما سيحدث في اللحظة التي نتعامل فيها مع وسائل الاتصال، لذلك فإن أي رسالة نتلقاها من وسائل الإتصال قد يكون لها نتائج مختلفة اعتمادا على خبرتنا السابقة عن الموضوع وتأثيرات الظروف الاجتماعية المحيطة، ويمكن تلخيص الافتراض الأساسي للنظرية فيما يلي:

- أن قدرة وسائل الاتصال على تحقيق أكبر قدر من التأثير المعرفي والعاطفي والسلوكي، سوف يزداد عندما تقوم هذه الوسائل بوظائف نقل المعلومات بشكل متميز ومكثف، وهذا الاحتمال سوف تزيد قوته في حالة تواجد عدم إستقرار بنائي في المجتمع بسبب الصراع والتغيير.

- إن فكرة تغيير سلوك ومعارف ووجدان الجمهور يمكن أن تصبح تأثيرا مزيد التغيير كل من المجتمع ووسائل الاتصال، وهذا هو معنى العلاقة الثلاثية بين وسائل الإتصال والجمهور والمجتمع وتقوم هذه النظرية على عدة أسس، وهي:

---

[1]. ميلفن ديفلر وساندرا بول روكيتش: **نظريات وسائل الإعلام**. ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة، 2002، ص41.

[2]. حسن عماد مكاوي وليلى حسن السيد: **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، ط3، 2002، ص313-314.

– تختلف درجة استقرار النظام الاجتماعي وتوازنه نتيجة التغيرات المستمرة، وتبعا لهذا الاختلاف تزيد أو تقل الحاجة إلى المعلومات والأخبار ففي حالة عدم إستقرار الاجتماعي تزداد الحاجة للمعلومات، فيكون الأفراد أكثر اعتمادا على وسائل الإعلام في حالة عدم الاستقرار.

– يعتبر النظام الإعلامي مهما للمجتمع وتزداد درجة إعتماده عليه في حالة إشباعه لاحتياجات الجمهور وتقل درجة إعتماده عليه في حالة إشباعه لاحتياجات الجمهور وتقل درجة إعتماده على النظام الإعلامي في حالة وجود قنوات بديلة للمعلومات.

– يختلف الجمهور في درجة إعتماده على وسائل الإعلام نتيجة اختلافاتهم في الأهداف والمصالح والحاجات الفردية.

يستخدم مؤسسا النظرية "ديفلر" و"روكيتش" مصطلح المعلومات للإشارة إلى إنتاج وتوزيع كل أنواع الرسائل التي تقدمها وسائل الإعلام، حيث توحي الفروق التقليدية إلى أن الأخبار شيء يتعلق بالمعلومات، في حين أن التسلية ليست كذلك فهي فروق مضللة، حيث أن هذا الأسلوب من التفكير غير صحيح لسببين:

– أنه يتجاهل الطرق التي يستخدم بها الأشخاص محتويات التسلية لفهم أنفسهم وعالمهم أو عوالم كبرى التي تتجاوز خبراتهم المباشرة ولتوجيه أعمالهم وتفاعلاتهم التبادلية مع الآخرين. وقصر فكرة المعلومات على الأخبار فقط سوف يوحي بأن ما يتعلمه الناس من التسلية ليست له أية نتائج هامة على المعاني التي ينشئونها ويتصرفون بموجبها أو على تطبيقهم للمجتمع.

– عندما نستبعد التسلية عن دنيا المعلومات، فإننا نقلل دور اللعب في الحياة الشخصية والاجتماعية، رغم الحكمة النفسية والإنسانية المناقضة فإن اللعب بصفة عامة يعامل بشكل خاطئ وكأنه يعد غيرها من الدوافع الإنسانية[1].

3.3. الاعتماد بين الأفراد ونظم وسائل الإعلام:

إن الأفراد ينشؤون علاقات اعتمادا على وسائل الإعلام لأن الأفراد توجههم الأهداف، وبعض أهدافهم الوصول إلى مصادر تسيطر عليها وسائل الإعلام الجماهيرية، في ظل علاقات الاعتماد التي ينشؤها الأفراد مع وسائل الإعلام، التي تدفع الأفراد إلى تحقيق أهداف هامة هي: الفهم والتوجيه والتسلية والواقع أن المخلوقات البشرية مدفوعة لفهم أنفسها وبيئاتها الاجتماعية وهي تستخدم هذا الفهم في توجيه أعمالها وتفاعلاتها المتبادلة مع الآخرين. وتعتبر التسلية هدفا جوهريا على حد سواء، فهي سمة لكل المجتمعات وهي أكثر من مجرد وسيلة تهرب أو تخلص من التوتر. كما أنها أيضا وسيلة لكي نصبح اجتماعيين ونتعلم الأدوار والقواعد والقيم بالتسلية مع الآخرين علاوة على أننا نعبر في لهونا ع أنفسنا وثقافتنا مثلما يحدث في الرقص أو الرياضة والطقوس.

[1]. حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: مرجع سابق، ص ص315–316.

وتنشأ تبعات الفهم الاجتماعي عندما يستخدم الأفراد مصادر معلومات وسائل الإعلام لفهم وتفسير الأشخاص والثقافات وأحداث الماضي الحاضر والمستقبل، وتشير معرفة الذات إلى علاقات وسائل الإعلام والاتصال التي توسع قدرات الأفراد أو تحافظ عليها لتغيير معتقداتهم وسلوكهم ومفاهيمهم الذاتية أو شخصياتهم وتعد مسائل المعاني والمعرفة أساسية لتبعيات الفهم، بحيث يكون هدف الفهم أمرا خارجيا بالنسبة للفرد في حالة الفهم وداخليا في حالة معرفة الذات، ومن الأمور الرئيسية لتبعات التوجيه "مسائل السلوك"، حيث يُشير توجيه العمل إلى عدد وفير من الطرق التي يقيم فيها الأفراد علاقات اعتماد على وسائل الإعلام والاتصال من أجل الحصول على توجيه سلوكيات معينة لأنفسهم أهمها، سياسية كالاقتراع واقتصادية كشراء منزل، ودينية كتأييد أو معارضة للنشاط الديني، أو قانونية كالذهاب إلى المحاكم أو طبية كالتمرينات الرياضية، وعندما يحصل الأفراد شيئا فشيئا على المعلومات من مختلف وسائل الإعلام والاتصال على أنواع السلوك المناسبة أو الفعالة في علاقاتهم الشخصية أو إزاء شاغلي مناصب اجتماعية أو مهنية معينة. فإنهم يظهرون تفاعلا تبادليا قائما على التوجيه نتيجة لاعتمادهم على وسائل الإعلام[1].

قدمت "ساندرا بول روكتيش" إطارا سيكولوجيا لتحليل محدودات اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام، بهدف شرح حالات تعرض وتأثيرات وسائل الإعلام والعوامل التي تتدخل في علاقات الاعتماد على وسائل الإعلام، والتي تتمثل في[2]:

- الغموض ودرجة التهديد التي تحيط بالفرد.
- أنشطة وسائل الإعلام.
- أنشطة شبكات الاتصال الشخصي.
- المواقع البنائية للأفراد والعضوية في الجماعات.

4.3. نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام:

قدم الباحثان "ديفلر" و"روكيتش" سنة 1982 العناصر الأساسية لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، من خلال نموذج متكامل يقدم مجموعة معقدة من العوامل والمتغيرات، وهي في المثل هذا النظام المعقد تولد تأثيرات وسائل الاتصال، ويتضمن هذا النموذج العناصر التالية:

- تدفق الأحداث ينبثق من مجتمع تنمو وتتفاعل في النظم الاجتماعية وعلاقات الاعتماد على وسائل الإعلام، كل مجتمع له ثقافته الرمزية وله مكوناته الأساسية وتشمل العمليات الديناميكية للثقافة قوى تتجه نحو الاستقرار كالإجماع والسيطرة والتكيف، بجانب قوى الصراع والتغير ويتضمن البناء الاجتماعي تكتلات وجماعات رسمية وغير رسمية بالإضافة إلى مواقع اجتماعية منظمة.

---

[1]. مي العبد الله: **نظريات الاتصال**، دار النهضة العربية ، ط01، بيروت، 2006، ص232.

[2]. مرفت الطرابيشي: مرجع سابق، ص ص154-155.

– تضع علاقة الاعتماد القائمة بين النظم الاجتماعية ووسائل الإعلام وبين بناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع قيودا وحدودا عل النظام الإعلامي، حيث تأثر بشكل كبير على خصائصه وعلى خدمات نشر المعلومات وإجراءات التشغيل.

– النظام الاجتماعي يؤثر كثيرا على الأفراد من خلال الفروق الفردية والعضوية في الفئات الاجتماعية والمشاركة في العلاقات الاجتماعية، والتي من خلالها يمكن أن يقيد من القوة الاستبدادية والتحكمية لوسائل الإعلام والنظام الاجتماعي يعمل على خلق احتياجات داخل الأشخاص وبالتحديد حاجات للفهم وللعمل وللتسلية.

– الاعتماد المتبادل للنظم الاجتماعية في المجتمع ووسائلها الإعلامية تشكل الكيفية التي يطور فيها الناس اعتمادهم على وسائل الإعلام لإشباع هذه الحاجات.

– المنتج الرئيسي للنشاط الإعلامي فيما يتصل بتدفق الأحداث هو تقديم معلومات منتقاة تتعلق بنطاق محدود من الموضوعات.

– تأثيرات وسائل الإعلامية تتدفق لتؤثر في حاجات الناس وفي خصائصهم النفسية والاجتماعية، وفي بعض الحالات تدفق لتغير في طبيعة المجتمع نفسه.

5.3. تأثيرات نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

يرصد "ميلفن ديفلر" و"ساندرا روكيتش" مجموعة الآثار التي تنتج عن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام من خلال ثلاث فئات أساسية، وهي:

أولا: التأثيرات المعرفية: تتميز التأثيرات المعرفية عن تلك التأثيرات التي تؤثر على سلوك بشكل صريح وواضح، لكن رغم ذلك فإن الاثنين يرتبطان معا بصورة واضحة، وتتمثل في مجالات عديدة منها:

– **الغموض:** هو مشكلة إما في النقص المعلومات أو وجود كمعلومات متضاربة ومتناقضة لدى الناس لفهم معنى حدث معين أو لإيجاد تفسير صحيح للحدث من بين تفسيرات ممكنة وعديدة وتوضح البحوث أنه عندما يقع حدث غير متوق مثل الكوارث الطبيعية أو اغتيال قائد سياسي، فإن العديد من الناس يدركون هذه الأحداث من خلال القنوات معلومات وسائل الإعلام غير كافية فإن أعضاء الجهور سوف يعرفون أن حدثا ما حدث ولكنهم لا يعرفون ماذا يعني ذلك الحدث ولا يعرفون كيف يفسرون إياه، وسوف يتم البحث عن مزيد من المعلومات في المحاولات لحل مثل هذا الغموض. فالغموض يدفع الناس إلى إنشاء علاقات اعتماد متطورة مع وسائل الإعلام والغموض يمكن أن يحل في ثواني لو أن تقديم المعلومات من خلال سائل الإعلام كان كافيا، ويمكن أن يستمر إلى أيام أو أشهر أو حتى سنوات في حالة غياب مثل هذه المعلومات

– **تشكيل الاتجاه:** يتحقق عندما يعتمد الجمهور بشكل مكثف على مصادر المعلومات وسائل الإعلام لمعرفة ما يحدث في العالم الخارجي، ويقومون باستخدام معلومات تلك الوسائل في تشكيل اتجاهات جديدة حول الأحداث كالمشاكل البيئية وأزمات الطاقة والفساد السياسي وأحوال الأزمات أو الحروب،

وهكذا يتم تشكيل اتجاهات جديدة باستمرار ووسائل الإعلام لم تكن متطابقة في تأثيرها على الاتجاهات، فإن عمليات الانتقائية كما كدت الدراسات المبكرة تلعب دورا كبيرا في عملية تشكيل الاتجاهات كذلك قادة الرأي في المجتمع المحلي ينتقون يوجهون انتباه الناس للأحداث ويؤثرون في محتوى وكثافة الاتجاه المكون.

– **توسع نظم المعتقدات لدى الناس:** يحدث هذا التأثير في المجتمع الذي يعتمد على وسائل الإعلام، وقد استخدم مصطلح التوسيع منذ فترة طويلة، ليشير إلى أن معرفة الناس ونظم المعتقدات لديهم تزداد لأنهم يتعلمون ويعرفون الكثير عن الناس الآخرين والأشياء الأخرى من وسائل الإعلام.

– **توضيح القيم:** أيا كان شكل المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام، فإنها تتضمن توضيحا للصراع بين القيم مما يدفع الأفراد للنظر في مواقف قيمهم، ويمكن أن يسبب هذا التوضيح ألما للأفراد لأنه يخلقا تضاربا في الهداف وسبل تحقيقها ويؤدب إلى خيارات متعددة، يفاضل الجمهور بينما في محاولة لتقرير أيها أكثر أهمية حتى تصبح أولويات القيم واضحة لديه.

ثانيا: التأثيرات الوجدانية: العمليات الوجدانية هي التي تشير عموما إلى الفئات المختلفة من المشاعر والعواطف والمكونات الأساسية من الحب والكره، وفي المجتمعات التي يتم فيها تطوير الاعتماد على وسائل الإعلام للحصول على المعلومات نجد أن التأثير أو التغير العاطفي لدى الناس يمكن أن يحدث عندما تقدم معلومات معينة من خلال رسائل إعلامية تؤثر على المشاعر الأفراد واستجاباتهم ومن أمثلة هذه التأثيرات:

– **الفتور العاطفي:** يرى "دوركايم" أن الأفراد الذين يعتمدون على وسائل الإعلام كمصدر رئيسي للمعلومات عن جماعاتهم يتعرضون للتغييرات كبيرة في معنوياتهم عندما يكون هناك تغييرات ملحوظة في كم ونوعية المعلومات التي تقدمها لهم وسائل الإعلام عن جماعاتهم وفئاتهم.

– **الخوف والقلق:** الخوف والقلق هي أمثلة على التأثيرات العاطفية التي يمكن أن يتم بحثها فعلى سبيل المثال نجد أن التعرض المستمر للرسائل الإخبارية أو الدراما التلفزيونية التي تصور المدن كما لو أنها غابات يرتكب فيها العنف، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة خوف الناس وقلقهم من الحياة في هذه المدن أو حتى السفر إليها.

– **الدعم المعنوي والاغتراب:** من بين التأثيرات الوجدانية لوسائل الإعلام رفع الروح المعنوية لدى المواطنين أو تزايد شعورهم بالاغتراب حيث يشير الاغتراب إلى اتجاهات الأفراد نحو الجماعات أو الثقافات، فالتعرض المكثف لوسائل الإعلام قد يقلل من رغبة الفرد في المساعدة الآخرين الذين تواجههم مواقف العنف في الحياة اليومية.

ثالثا: التأثيرات السلوكية: التغيير في الاتجاهات أو في الاعتقادات أو الحالات العاطفية هي أشياء يهتم بها الناس، حيث أنها تؤثر بوضوح في سلوكهم وقد حصر "ميلفن ديفلر" و"روكيتش" الآثار السلوكية للاعتماد الفرد على وسائل الإعلام في سلوكيين وهما: التنشيط والخمول، ويعني ذلك قيام الفرد ما نتيجة

للتعرض للوسيلة الإعلامية مثل اتخاذ مواقف جديدة مؤيدة أو معارضة أو القيام بفعل إيجابي أو سلبي نتيجة لكثافة التعرض للرسالة الإعلامية، حيث تنشط الرسائل الإعلامي السلوك الاجتماعي المفيد مثل الإقلاع عن التدخين. وقد تنشط سلوك صار مثل محاكاة العنف ويرى الباحثون أن وسائل الإعلام قادرة على تنشط الجمهور وفي نفس الوقت قادرة على تقليل نشاطهم. وهم يعتقدون أنها كلما كانت مصادر المعلومات متنوعة بشكل أقل في عالم الإعلام كلما كان تأثيرها في الأفكار والاتجاهات وكيفية التصرف أكثر احتمالا، كما أن تأثير وسائل الإعلام يزداد عندما تكون هناك درجة عالية من عدم الاستقرار في المجتمع بسبب الصراع والتغير[1].

6.3. الانتقادات الموجهة لنظرية الاعتماد على وسائل الاعتماد:

وجهت لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام العديد من الانتقادات، تمثلت أبرزها:

– أن هذه النظرية لم تتعرض لدور القنوات الاتصال الشخصي مثل الاتصال داخل الجماعة أو الاتصال داخل المنظمات على الرغم من أن الاتجاه يتزايد نحو تعظيم قدر المعلومات التي يستقبلها الفرد من شبكات الاتصال الشخصي.

– تفتقر النظرية إلى دليل المؤيد الموضوعي، ويرجع ذلك إلى صعوبة إجراء الدراسة على نطاق واسع تضم كل المتغيرات الخاصة بالنظرية.

– تقوم نظرية الاعتماد على الوسائل الإعلام على علاقة الثلاثية التي الذي تتكون من النظام الاجتماعي ووسائل الإعلام والجمهور، لكن معظم البحوث تتعامل مع مدخل الاعتماد على الأفراد أو المستوى الفردي فقط وبالتالي تدرس أبعاد وآثار الاعتماد الناجمة عن اعتماد الأفراد على الوسائل المختلفة دون تركيز على النظام الاجتماعية والجماعات.

– ارتكازها على خبرات مجتمع ذو خصوصية بنائية ووظيفة قد يفقدها القدرة على تعميم على مجتمعات أخرى في البيئات الدولية، كما لم تحدد النظرية علاقة كل عنصر من عناصر المجتمع بالنظام الإعلامي، فعلى سبيل المثال، ما حدود تأثير الظروف الاقتصادية ما مدى تأثير الفلسفة السياسية على تشكيل النظام الإعلامي[2].

[1]. مرفت الطرابيش: مرجع سابق، ص ص162–168.

[2]. المرجع نفسه، ص ص171–172.